البنية السردية لخطاب الرحلة النسائية العربية المعاصرة: دراسة تحليلية

The Narrative Structure of Contemporary Arab Women's Travel Discourse: An Analytical Study

أ. **خالد بن مصبح السعيدي:** باحث دكتوراه في الأدب العربي الحديث، كلية الآداب والفنون والإنسانيّات، جامعة منّوبة، تونس.

أ.د. **نور الدين أحمد بنخود:** أستاذ التعليم العالي في الآداب العربية والمناهج النقدية بجامعة منّوبة، تونس

Mr. Khaled bin Musbah Al-Saidi*: PhD researcher in modern Arabic literature at Monawiya University, Faculty of Arts, Humanities, and Fine Arts, Tunisia.*

Email: Alsydyk896@gmail.com

Prof. Dr. Nour El-Din Ahmed Benkhod*: Professor of Higher Education in Arabic Literature and Critical Methodologies at Monawiya University, Tunisia.*

Email: noureddinebenkhoud@gmail.com

Doi: https://doi.org/10.56989/benkj.v6i6.1905

تاريخ الاستلام: 2026-04-06 تاريخ القبول: 2026-04-19 تاريخ النشر 2026-06-01

الملخص:

تتناول هذه الدراسة البنية السردية في الرحلة النسائية العربية المعاصرة، بوصفها خطابًا سرديًا حديثًا تشكّل في ظل التحولات الثقافية والفكرية التي شهدها الأدب العربي المعاصر. وتنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن الرحلة النسائية تجاوزت الوظيفة التقليدية القائمة على الوصف المكاني والتوثيق الخارجي، لتصبح تجربة سردية تتداخل فيها الذات بالمكان، والزمن الواقعي بالزمن النفسي، والتجربة الخارجية بالتأمل الداخلي. واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، مستفيدة من مفاهيم السرديات الحديثة، كالبنية السردية، والراوي، والمنظور السردي، والزمن، من خلال تحليل نماذج مختارة من نصوص الرحلة النسائية العربية المعاصرة. وقد كشفت الدراسة عن هيمنة الراوي الذاتي بضمير المتكلم، وكسر الخطية الزمنية، وتوظيف الزمن النفسي، وتحول المكان إلى عنصر دلالي يعكس وعي الذات وتحولاتها النفسية والثقافية. كما أظهرت النتائج أن بنية الحدث في الرحلة النسائية تتسم بالتشظي والتقطيع، واعتماد مقاطع سردية مستقلة نسبيًا، الأمر الذي يعكس هيمنة الذاكرة والانفعال على بناء السرد. وخلصت الدراسة إلى أن الرحلة النسائية العربية أسهمت في تجديد السرد الرحلي العربي وتعميق أبعاده النفسية والتأملية. وأوصت بتوجيه الدراسات المستقبلية نحو تحليل اللغة السردية والأساليب التعبيرية في الرحلة النسائية العربية للكشف عن خصوصيتها الجمالية وأثرها في تطوير الخطاب الرحلي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: البنية السردية، الرحلة النسائية العربية، السرد الرحلي، الراوي الذاتي، الزمن النفسي، المكان، المنظور السردي، السرديات الحديثة، الخطاب النسائي، السرد العربي المعاصر

Abstract:

This study examines the narrative structure in contemporary Arab women's travel writing as a modern narrative discourse that emerged within the framework of the cultural and intellectual transformations witnessed by contemporary Arabic literature. The study is based on the assumption that women's travel writing has transcended the traditional function based on spatial description and external documentation, becoming instead a narrative experience in which the self intertwines with place, objective time with psychological time, and external experience with internal reflection. The study adopts the descriptive-analytical approach, drawing on concepts from modern narratology such as narrative structure, narrator, narrative perspective, and time, through the analysis of selected models from contemporary Arab women's travel texts. The study reveals the dominance of the first-person subjective narrator, the breaking of linear chronology, the employment of psychological time, and the transformation of place into a semantic element reflecting the self's consciousness and its psychological and cultural transformations. The findings also demonstrate that the structure of events in women's travel writing is characterized by fragmentation and discontinuity, relying on relatively independent narrative segments, which reflects the dominance of memory and emotion in the construction of narrative discourse. The study concludes that Arab women's travel writing has contributed to renewing Arabic travel narrative and deepening its psychological and contemplative dimensions. It further recommends directing future studies toward analyzing narrative language and expressive styles in Arab women's travel writing in order to reveal its aesthetic specificity and its impact on the development of contemporary travel discourse.

Keywords: Narrative Structure, Arab Women's Travel Writing, Travel Narrative, Subjective Narrator, Psychological Time, Narrative Perspective, Modern Narratology, Feminine Discourse, Contemporary Arabic Narrative

الإطار المنهجي للدراسة

المقدمة

يُعدّ أدب الرحلات من الأجناس الأدبية التي أسهمت في تشكيل الوعي الثقافي والحضاري العربي، لما ينطوي عليه من تسجيلٍ للتجربة الإنسانية في تفاعلها مع المكان والزمان والآخر، فضلًا عن كونه وثيقةً ثقافية تكشف أنماط التفكير والرؤية لدى الرحّالة في مختلف العصور. وقد شكّل هذا الفن عبر تاريخه سجلًا حضاريًا زاخرًا بالمعارف الجغرافية والاجتماعية والثقافية، الأمر الذي منح النص الرحلي مكانة متميزة في بنية الأدب العربي (العاني، 2006، ص. 21). غير أنّ هذا الجنس الأدبي ارتبط، في كثير من نماذجه التقليدية، بالطابع الوصفي والتقريري القائم على نقل المشاهدات ورصد العادات والتقاليد، مما جعل البعد الإخباري يطغى أحيانًا على البعد الفني والجمالي في بناء النص.

ومع التحولات الفكرية والثقافية التي شهدها الأدب العربي المعاصر، وما رافقها من انفتاح على المناهج النقدية الحديثة، شهد أدب الرحلات تحوّلًا ملحوظًا في بنيته ووظائفه الجمالية، فلم يعد النص الرحلي مجرد تسجيل للوقائع والأمكنة، بل أصبح فضاءً سرديًا تتداخل فيه التجربة الذاتية بالرؤية الفكرية والبعد التأملي. وفي هذا السياق برزت الرحلة النسائية العربية بوصفها تجربة سردية مغايرة أعادت تشكيل العلاقة بين الذات والعالم، وأسهمت في توسيع أفق الكتابة الرحلية عبر منحها أبعادًا وجدانية وإنسانية أكثر عمقًا (طه، 2013، ص. 14).

وقد اتسمت الكتابة الرحلية النسائية بخصوصية سردية واضحة، تمثلت في إعادة بناء البنية السردية للنص الرحلي على نحوٍ تجاوز حدود الوصف الخارجي للمكان إلى استبطان الذات والكشف عن هواجسها وأسئلتها الوجودية. فالرحلة في هذا النوع من الكتابة لم تعد مجرد انتقال جغرافي، بل غدت تجربة معرفية ووجدانية تتقاطع فيها قضايا الهوية والذاكرة والانتماء والاختلاف الثقافي، وأصبح المكان عنصرًا دلاليًا فاعلًا يعكس رؤية الذات الساردة للعالم وتمثلاتها الفكرية والنفسية (البدري، 2019، ص18).

وانطلاقًا من ذلك، تبرز أهمية دراسة البنية السردية في الرحلة النسائية العربية المعاصرة، بوصفها مدخلًا نقديًا للكشف عن التحولات الفنية والجمالية التي شهدها السرد الرحلي الحديث، ولتبيّن الكيفية التي أسهمت بها الكاتبة العربية في إعادة إنتاج هذا الجنس الأدبي وتطوير آلياته التعبيرية والسردية، بما ينسجم مع تحولات الخطاب الأدبي المعاصر ورؤاه الفكرية والجمالية.

مشكلة الدراسة:

شهد أدب الرحلات النسائي العربي المعاصر حضورًا ملحوظًا في المشهد السردي الحديث، بوصفه خطابًا أدبيًا يجمع بين التجربة الذاتية والرؤية الثقافية وتمثلات المكان والهوية. وعلى الرغم

من هذا الحضور، فإن الدراسات النقدية العربية ظلّت تركّز –في معظمها– على الجوانب الموضوعية والثقافية والاجتماعية للنص الرحلي النسائي، مع اهتمام محدود بالبنية السردية وآليات تشكّل الخطاب الرحلي من منظور فني وجمالي، مقارنة بما حظيت به الأجناس السردية الأخرى، كالرواية والقصة، من دراسات بنيوية وسردية معمّقة (العاني، 2006، ص37).

وقد ترتب على هذا القصور غياب قراءة نقدية تكشف الخصوصية الفنية للرحلة النسائية العربية، وطبيعة التحولات التي أحدثتها الكاتبة العربية في بناء النص الرحلي، سواء على مستوى تشكيل الراوي، أو بناء الحدث، أو توظيف الزمن والمكان، أو إعادة صياغة العلاقة بين الذات والآخر. كما أن كثيرًا من الدراسات تعاملت مع الرحلة النسائية بوصفها امتدادًا للنموذج الرحلي التقليدي، دون الالتفات إلى ما تحمله من سمات سردية مغايرة تعبّر عن رؤية ذاتية وإنسانية مختلفة.

ومن هنا تنبع مشكلة الدراسة من الحاجة إلى تحليل البنية السردية في الرحلة النسائية العربية المعاصرة، والكشف عن خصائصها الفنية وآليات اشتغالها السردي، بما يسهم في إبراز خصوصية هذا الخطاب داخل منظومة السرد العربي الحديث.

وعليه، تتمثل إشكالية الدراسة في السؤال الرئيس الآتي: كيف تتشكّل البنية السردية في الرحلة النسائية العربية المعاصرة، وما السمات الفنية التي تميزها عن السرد الرحلي التقليدي؟

تسعى الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما مفهوم البنية السردية، وكيف تتجلّى في خطاب الرحلة النسائية العربية المعاصرة؟
- كيف يُبنى الحدث الرحلي ومحكيّ السفر في النص الرحلي النسائي؟
- ما طبيعة الراوي والمنظور السردي في الرحلة النسائية العربية؟
- كيف تُوظَّف تقنيات الزمن السردي في بناء الخطاب الرحلي النسائي؟
- ما دلالات المكان وعلاقته بتشكيل رؤية الذات الساردة؟
- إلى أي مدى أسهمت الرحلة النسائية العربية المعاصرة في تجديد السرد الرحلي العربي على المستويين الفني والجمالي؟

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف العلمية والنقدية، تتمثل فيما يأتي:

- الكشف عن مكوّنات البنية السردية في الرحلة النسائية العربية المعاصرة، وتحليل العناصر الفنية التي يقوم عليها الخطاب الرحلي النسائي.

- دراسة آليات بناء الحدث الرحلي ومحكيّ السفر، وبيان الكيفية التي تُشكِّل بها الكاتبة العربية تجربتها السردية داخل النص الرحلي.
- تحليل أنماط الراوي والمنظور السردي، والكشف عن طبيعة حضور الذات الساردة وعلاقتها بالمكان والآخر.
- الوقوف على تقنيات الزمن السردي وآليات توظيفها في بناء النص الرحلي النسائي، وما تؤديه من وظائف فنية ودلالية.
- إبراز الخصائص الجمالية والفنية التي تميز الرحلة النسائية العربية عن الرحلة التقليدية، وبيان مظاهر التجديد التي أدخلتها الكاتبة العربية على هذا الجنس الأدبي.
- الكشف عن دلالات المكان وتمثلات الهوية والذات في الخطاب الرحلي النسائي المعاصر.
- الإسهام في إثراء الدراسات النقدية العربية المتعلقة بأدب الرحلات، وتعزيز المقاربات السردية الحديثة في دراسة النص الرحلي النسائي.

أهمية الدراسة:

تنبع أهمية هذه الدراسة من اهتمامها بجنسٍ أدبي يُعدّ من الأجناس السردية التي لم تنل حظّها الكافي من الدراسة النقدية في الأدب العربي المعاصر، وهو أدب الرحلات النسائي العربي، على الرغم من ثرائه الفني والثقافي وما ينطوي عليه من رؤى جمالية وإنسانية تعبّر عن خصوصية التجربة النسائية في علاقتها بالمكان والذات والآخر. ومن ثمّ، تسعى هذه الدراسة إلى الإسهام في سدّ جانب من النقص القائم في الدراسات النقدية التي تناولت هذا الفن، خاصة في جانبه السردي والبنيوي.

كما تتجلّى أهمية البحث في اعتماده مقاربة سردية تحليلية تنفذ إلى البنية الداخلية للنص الرحلي النسائي، من خلال الكشف عن آليات بنائه الفني، وتحليل عناصره السردية، كالرّاوي والزمن والمكان وبناء الحدث والمنظور السردي، بعيدًا عن القراءات الوصفية أو الانطباعية التي اقتصرت على المضامين العامة للنصوص (طه، 2013، ص19).

وتكتسب الدراسة أهميتها كذلك من توظيف مناهج السرديات الحديثة في تحليل الخطاب الرحلي النسائي، بما يتيح قراءة نقدية أكثر عمقًا ووعيًا بجماليات النص الرحلي وآليات تشكّله الفني، فضلًا عن ربط هذه النصوص بسياقاتها الثقافية والفكرية والاجتماعية، الأمر الذي يسهم في توسيع أفق الدراسات الأدبية والنقدية المعاصرة.

ومن جهة أخرى، يمكن أن تفتح هذه الدراسة المجال أمام بحوث لاحقة تُعنى بأدب الرحلات النسائي من زوايا نقدية مختلفة، وتسهم في ترسيخ حضوره ضمن خريطة البحث الأكاديمي العربي، بوصفه خطابًا سرديًا يمتلك خصوصيته الفنية ورؤيته الإنسانية المتميزة.

منهج الدراسة:

يعتمد هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي بوصفه المنهج الأنسب لدراسة النصوص الأدبية والكشف عن خصائصها الفنية والبنائية، وذلك من خلال وصف الظواهر السردية في الرحلة النسائية العربية المعاصرة وتحليلها تحليلًا نقديًا يبرز آليات تشكّل الخطاب الرحلي ودلالاته الجمالية والفكرية.

كما يستفيد البحث من أدوات المنهج السردي ومفاهيمه الإجرائية، ولا سيما ما يتعلق بالبنية السردية، والراوي، والمنظور السردي، والزمن، وبناء الحدث، والمكان، اعتمادًا على التصورات النقدية الحديثة في السرديات، بهدف الكشف عن الكيفية التي تُبنى بها التجربة الرحلية داخل النص النسائي، وتحليل التقنيات الفنية التي توظفها الكاتبة في تشكيل خطابها السردي (Genette, 1980, p. 35).

ويقوم البحث على تحليل نماذج مختارة من نصوص الرحلة النسائية العربية المعاصرة، بوصفها بنيات لغوية وسردية متكاملة، مع ربط النتائج التحليلية بالسياق الثقافي والفكري الذي أنتج هذه النصوص، بما يسهم في فهم خصوصية الخطاب الرحلي النسائي وتحولاته داخل السرد العربي الحديث.

الإطار المفاهيمي والنظري والدراسات السابقة

أولًا: مفهوم البنية السردية

تُعدّ البنية السردية من المفاهيم الأساسية التي ارتكزت عليها الدراسات السردية الحديثة، ولا سيما مع تطور المناهج البنيوية والسيميائية التي اهتمت بدراسة النص الأدبي بوصفه نظامًا من العلاقات الداخلية المتشابكة. ويُقصد بالبنية السردية ذلك التنظيم الفني الذي تنتظم من خلاله عناصر السرد المختلفة داخل النص، كالأحداث، والشخصيات، والزمن، والمكان، والراوي، والمنظور السردي، بحيث تتكامل هذه العناصر لتشكّل البنية الدلالية والجمالية للعمل الأدبي. ومن ثمّ، فإن البنية السردية لا تُفهم باعتبارها ترتيبًا شكليًا للأحداث أو تعاقبًا زمنيًا للوقائع فحسب، بل بوصفها نسقًا فنيًا ودلاليًا تتحقق داخله العلاقات التي تمنح النص وحدته ومعناه (Genette, 1980, p. 35).

وقد أسهمت الدراسات البنيوية في توسيع مفهوم البنية السردية، من خلال الانتقال من الاهتمام بالمحتوى الحكائي إلى دراسة آليات البناء الفني للنص، والعلاقات التي تتحكم في تشكّله. وفي هذا السياق يرى تودوروف أن جوهر السرد لا يكمن في العناصر المفردة ذاتها، وإنما في طبيعة العلاقات التي تربط بينها، لأن المعنى لا يتولد من الحدث منفصلًا، بل من موقعه داخل

النسق السردي العام (Todorov, 1977, p. 87). ومن هنا أصبح تحليل البنية السردية وسيلة للكشف عن النظام الداخلي للنص، وفهم الوظائف الجمالية والفكرية التي تؤديها مكوناته المختلفة.

ويذهب جيرار جنيت إلى أن دراسة السرد تقتضي تحليل مستويات متعددة، تشمل الزمن السردي، والصوت السردي، والمنظور، والعلاقة بين الحكاية والخطاب، لأن هذه العناصر هي التي تتحكم في طريقة تشكّل المعنى داخل النص (Genette, 1980, p. 67). فالسرد ليس مجرد نقل للأحداث، بل هو عملية تنظيم وإعادة بناء للواقع عبر رؤية سردية محددة، تخضع لاختيارات فنية وجمالية تعكس وعي الكاتب وطبيعة خطابه.

وفي النقد العربي الحديث، حظي مفهوم البنية السردية باهتمام واضح مع انفتاح النقد العربي على المناهج الغربية الحديثة، حيث سعى النقاد إلى توظيف مفاهيم السرديات في تحليل الأجناس الأدبية المختلفة. ويشير العاني (2006) إلى أن السرد العربي الحديث شهد تحولات بنيوية مهمة تمثلت في تفكيك البنية الخطية التقليدية، وتعدد مستويات الحكي، وتنوع الأصوات السردية، والانفتاح على تقنيات الاسترجاع والاستباق، الأمر الذي أسهم في تطوير الخطاب السردي العربي وإغنائه فنيًا ودلاليًا (ص41).

وانطلاقًا من هذا التصور، فإن دراسة البنية السردية في الرحلة النسائية العربية لا تهدف إلى تتبع الأحداث أو وصف مضامين النصوص فحسب، وإنما تسعى إلى الكشف عن الكيفية التي تُبنى بها التجربة الرحلية داخل النص، وكيف تتفاعل العناصر السردية المختلفة في إنتاج الرؤية الفكرية والجمالية للكاتبة. فالبنية السردية تمثل المدخل الأهم لفهم خصوصية الخطاب الرحلي النسائي، والكشف عن مظاهر الاختلاف التي تميّزه عن أنماط السرد الرحلي التقليدي.

ثانيًا: السرد الرحلي وتحولاته في الأدب العربي الحديث

يُقصد بالسرد الرحلي ذلك الخطاب الأدبي الذي يتخذ من السفر والتنقل أساسًا لبناء الحكاية، حيث تتداخل فيه عناصر الوصف والمشاهدة والتأمل والحكي، في إطار تجربة تجمع بين الذاتي والموضوعي. وقد شكّل أدب الرحلات عبر التاريخ العربي مصدرًا مهمًا للمعرفة الجغرافية والثقافية والاجتماعية، إذ ارتبط في بداياته بوظيفة توثيقية تهدف إلى تسجيل الأمكنة، ووصف الشعوب والعادات، ونقل مشاهدات الرحّالة وانطباعاتهم عن العالم الخارجي (العاني، 2006، ص49).

وقد اتسمت الرحلة العربية التقليدية بطابع وصفي واضح، حيث كان الرحّالة يهتم بتقديم المعلومات المتعلقة بالأمكنة والطرق والبلدان، مع التركيز على البعد الإخباري والتوثيقي. ولهذا ظلّ الخطاب الرحلي، في كثير من نماذجه القديمة، قريبًا من السجل التاريخي أو الجغرافي أكثر من قربه إلى الخطاب الأدبي الفني. غير أن هذا التصور بدأ يتغير تدريجيًا مع تطور الكتابة الأدبية الحديثة، وظهور تحولات فكرية وثقافية أثّرت في طبيعة السرد ووظائفه الجمالية.

ومع انفتاح الأدب العربي الحديث على التيارات الفكرية والنقدية المعاصرة، شهد السرد الرحلي تحولات جوهرية على مستوى البناء والرؤية، فلم تعد الرحلة مجرد نقل للوقائع أو وصف للأمكنة، بل أصبحت تجربة ذاتية وفكرية تعبّر عن رؤية الكاتب للعالم، وعن طبيعة العلاقة بين الذات والآخر. وقد أسهم هذا التحول في انتقال الرحلة من وظيفة التوثيق إلى وظيفة التعبير، بحيث أصبح النص الرحلي فضاءً للتأمل الذاتي والكشف عن القلق الوجودي والأسئلة الثقافية والفكرية المرتبطة بالهوية والانتماء.

ويشير جنيت إلى أن السرد الحديث يتجه إلى إعادة توزيع الوظائف السردية داخل النص، بحيث تتراجع مركزية الحدث لصالح الوعي السردي، ويتحوّل الاهتمام من الحكاية ذاتها إلى الطريقة التي تُروى بها (Genette, 1980, p. 94). ويبدو هذا التحول واضحًا في الرحلة المعاصرة، حيث أصبح الراوي أكثر حضورًا داخل النص، وصارت التجربة الذاتية عنصرًا أساسيًا في بناء الخطاب الرحلي.

وقد أدت هذه التحولات إلى ظهور أنماط جديدة من الكتابة الرحلية، من أبرزها الرحلة النسائية العربية، التي مثّلت نقلة نوعية في مسار السرد الرحلي الحديث، من خلال إعادة بناء العلاقة بين الذات والمكان، وتوظيف تقنيات سردية جديدة تتجاوز النموذج التقليدي القائم على الوصف الخارجي. فالرحلة النسائية لم تعد تنظر إلى المكان باعتباره موضوعًا للرؤية فقط، بل باعتباره فضاءً تتشكل داخله الذات وتعيد من خلاله اكتشاف العالم والهوية.

ثالثًا: الرحلة النسائية العربية وخصوصية الخطاب

تمثل الرحلة النسائية العربية أحد أبرز التحولات التي شهدها السرد الرحلي العربي المعاصر، إذ جاءت هذه الكتابة لتعبّر عن تجربة ذاتية مختلفة تنطلق من وعي نسائي يسعى إلى إعادة قراءة المكان والعالم والذات من منظور مغاير للسرد الرحلي التقليدي. فالمرأة الكاتبة لم تدخل مجال الرحلة بوصفها ناقلة للوقائع أو واصفة للأمكنة فحسب، وإنما بوصفها ذاتًا فاعلة تعيد تشكيل تجربتها الإنسانية داخل النص، وتمنح الرحلة أبعادًا وجدانية وفكرية جديدة.

وتشير طه (2013) إلى أن الرحلة النسائية لا تتعامل مع المكان باعتباره معطًى ثابتًا أو إطارًا خارجيًا للأحداث، بل بوصفه تجربة معيشة تُعاد صياغتها عبر الذاكرة والانفعال والتأمل الذاتي، وهو ما يمنح النص الرحلي النسائي خصوصيته التعبيرية والجمالية (ص. 64). ومن هنا تصبح الكتابة الرحلية النسائية فعلًا من أفعال اكتشاف الذات بقدر ما هي اكتشاف للعالم.

ويرى الباحث أن خصوصية الرحلة النسائية العربية لا تتجلى في موضوعاتها فقط، وإنما في بنيتها السردية وآليات تشكّل خطابها الفني. فالذات الساردة تحضر بقوة داخل النص، ويتقدم البعد

التأملي والوجداني على الوظيفة الإخبارية التقليدية، كما تتداخل في النص مستويات متعددة من الحكي والوصف والتأمل والاسترجاع، بما يمنح السرد طابعًا ذاتيًا وإنسانيًا أكثر عمقًا.

كما تتسم الرحلة النسائية بقدرتها على إعادة بناء العلاقة بين الأنا والآخر، حيث لا يُقدَّم الآخر بوصفه موضوعًا للمشاهدة فحسب، بل بوصفه عنصرًا يدخل في حوار ثقافي وإنساني مع الذات الساردة. ومن ثمّ، فإن الرحلة النسائية تتجاوز حدود الوصف الخارجي للمكان لتصبح خطابًا ثقافيًا يكشف عن أسئلة الهوية والانتماء والاختلاف.

وبهذا المعنى، تمثل الرحلة النسائية العربية خطابًا سرديًا حديثًا أعاد تعريف مفهوم الرحلة ذاته، وحوّلها من مجرد انتقال جغرافي إلى تجربة وجودية ومعرفية تتداخل فيها الرؤية الفكرية بالبعد الجمالي، الأمر الذي منح هذا الجنس الأدبي مكانة متميزة داخل السرد العربي المعاصر.

رابعًا: الراوي والمنظور السردي في الخطاب الرحلي النسائي

يُعدّ الراوي من أهم العناصر المكوِّنة للبنية السردية، إذ يتولى مهمة نقل الأحداث وتنظيمها وتوجيه رؤية القارئ داخل النص. ومن خلاله تتحدد طبيعة العلاقة بين الحكاية والمتلقي، كما تتشكل زاوية النظر التي يُقدَّم من خلالها العالم السردي. ولذلك أولت الدراسات السردية الحديثة اهتمامًا كبيرًا بتحليل الراوي والمنظور السردي، بوصفهما عنصرين أساسيين في إنتاج الدلالة داخل النص.

ويُميز جيرار جنيت بين أنماط متعددة للراوي وفق موقعه من الحكاية، ومدى مشاركته في الأحداث، وكذلك وفق طبيعة الرؤية السردية التي يعتمدها (Genette, 1980, p. 189). فالراوي قد يكون مشاركًا في الحكاية أو خارجيًا عنها، كما قد يتخذ منظورًا داخليًا أو خارجيًا أو شاملًا، تبعًا لطبيعة الخطاب السردي وأهدافه الفنية.

وفي الرحلة النسائية العربية يهيمن غالبًا الراوي الذاتي بضمير المتكلم، حيث تتحدث الكاتبة من داخل التجربة الرحلية، مما يمنح السرد طابعًا اعترافيًا وتأمليًا واضحًا. ويؤدي هذا الحضور القوي للأنا الساردة إلى تعزيز البعد الذاتي في النص، بحيث تتحول الرحلة إلى مساحة للكشف عن المشاعر والهواجس والأسئلة الداخلية المرتبطة بالهوية والوجود.

ويرى الباحث أن اعتماد الراوي الذاتي في الرحلة النسائية يعكس رغبة الكاتبة في تثبيت صوتها داخل الخطاب الأدبي، ومواجهة أنماط السرد التقليدي التي همّشت الذات لصالح الوصف الخارجي والوظيفة الإخبارية. كما أن هذا الاختيار السردي يمنح النص قدرًا أكبر من الحميمية والصدق التعبيري، ويجعل القارئ أكثر قربًا من التجربة الإنسانية التي تعيشها الذات الساردة.

أما المنظور السردي في الرحلة النسائية، فيتسم غالبًا بالمرونة والتداخل، حيث تنتقل الكاتبة بين الوصف الخارجي والتأمل الداخلي، وبين مراقبة المكان واستبطان الذات، وهو ما يخلق تعددًا في مستويات الرؤية داخل النص. كما تسهم تقنيات الاسترجاع والتداعي الحر والوصف التأملي في تعميق البنية السردية، ومنح الخطاب الرحلي أبعادًا نفسية وثقافية تتجاوز حدود السرد التقليدي.

ومن ثمّ، فإن دراسة الراوي والمنظور السردي في الرحلة النسائية العربية تكشف عن طبيعة التحولات التي شهدها الخطاب الرحلي الحديث، وتبرز الكيفية التي استطاعت بها الكاتبة العربية أن تطوّر أدوات السرد الرحلي، وأن تمنحه أبعادًا جمالية وفكرية جديدة.

خامسًا: الزمن السردي وهيمنة الزمن النفسي

يُعدّ الزمن من أبرز المكوّنات التي تقوم عليها البنية السردية، إذ لا يقتصر دوره على تنظيم تعاقب الأحداث داخل النص، بل يسهم في تشكيل الرؤية الفكرية والجمالية للعمل الأدبي، ويكشف عن طبيعة العلاقة بين الحكاية والخطاب. وقد أولت الدراسات السردية الحديثة اهتمامًا بالغًا بتحليل الزمن السردي، باعتباره عنصرًا فاعلًا في إنتاج الدلالة، وليس مجرد إطار خارجي تتحرك داخله الأحداث.

ويذهب جيرار جنيت إلى التمييز بين زمن الحكاية، أي الزمن الذي تقع فيه الأحداث وفق تسلسلها المنطقي والواقعي، وزمن الخطاب، أي الطريقة التي تُقدَّم بها هذه الأحداث داخل النص السردي، موضحًا أن العلاقة بين الزمنين تُنتج عددًا من التقنيات السردية، مثل الاسترجاع، والاستباق، والحذف، والتلخيص، والمشهد (Genette, 1980, p. 33). ومن ثمّ، فإن الزمن السردي لا يُقاس فقط بترتيب الوقائع، وإنما بطريقة إعادة بنائها داخل الخطاب.

وفي الرحلة النسائية العربية المعاصرة، يلاحظ الباحث أن الزمن لا يُقدَّم وفق نسق خطي تقليدي يقوم على التتابع الزمني المباشر للأحداث، بل يُعاد تشكيله تبعًا لمنطق الذاكرة والانفعال والتداعي النفسي. فالكاتبة لا تكتفي بسرد وقائع السفر بوصفها أحداثًا متعاقبة، وإنما تعيد بناء التجربة الرحلية من خلال استحضار الماضي، واسترجاع الذكريات، وربط اللحظة الراهنة بتجارب ذاتية وإنسانية متداخلة، الأمر الذي يمنح النص بعدًا نفسيًا وتأمليًا واضحًا.

ويؤدي هذا التداخل الزمني إلى كسر الخطية التقليدية للسرد الرحلي، حيث تتعاقب الأزمنة داخل النص بصورة مرنة، تنتقل فيها الذات الساردة بين الماضي والحاضر، وبين الواقع والذاكرة، وفق إيقاع نفسي يتجاوز حدود الزمن الواقعي. ومن هنا تصبح الرحلة تجربة داخلية بقدر ما هي تجربة مكانية، لأن حركة الذات داخل الزمن النفسي لا تقل أهمية عن حركتها في المكان الخارجي.

كما تميل الرحلة النسائية إلى توظيف تقنيات الاسترجاع والتداعي الحر بوصفها وسائل فنية للكشف عن أعماق الذات الساردة، وإبراز حالاتها الوجدانية والفكرية. فالذاكرة لا تحضر في النص بوصفها عنصرًا مكملًا للحكاية، بل بوصفها بنية موازية تُعيد تشكيل التجربة الرحلية من الداخل، وتمنحها أبعادًا إنسانية تتجاوز مجرد الوصف الخارجي للأمكنة.

ويرى تودوروف أن السرد الحديث يقوم على إعادة ترتيب الزمن بطريقة تجعل القارئ يشارك في إعادة بناء الحكاية، من خلال تفكيك التسلسل التقليدي للأحداث وإعادة تركيبها وفق منظور الذات الساردة (Todorov, 1977, p. 97). ويبدو هذا الأمر واضحًا في الرحلة النسائية العربية، حيث يتحول الزمن إلى أداة للكشف عن التحولات النفسية والفكرية التي تعيشها الكاتبة أثناء الرحلة.

ومن ثمّ، فإن هيمنة الزمن النفسي في الرحلة النسائية العربية تكشف عن انتقال السرد الرحلي من الاهتمام بالحدث الخارجي إلى التركيز على التجربة الذاتية الداخلية، وهو ما يُعدّ أحد أبرز مظاهر التجديد في الخطاب الرحلي المعاصر، ويمنح النص بعده الجمالي والتأملي العميق.

سادسًا: السرد الرحلي من منظور نقد نسوي سردي

يُعدّ النقد النسوي السردي من الاتجاهات النقدية الحديثة التي اهتمت بدراسة العلاقة بين السرد وتمثيل الذات النسائية داخل النصوص الأدبية، من خلال تحليل آليات بناء الخطاب، وطبيعة الصوت السردي، وكيفية تشكّل الرؤية النسوية للعالم. ولا يقتصر هذا المنظور على دراسة حضور المرأة بوصفها موضوعًا للسرد، بل يتجاوز ذلك إلى تحليل الكيفية التي تُنتج بها المرأة خطابها السردي الخاص، وما يميّزه من خصائص فنية وجمالية.

وفي إطار الرحلة النسائية العربية، يسهم النقد النسوي السردي في الكشف عن خصوصية هذا الخطاب، من خلال التركيز على تمثيل الذات الساردة، وطبيعة علاقتها بالمكان والآخر والجسد واللغة. فالرحلة النسائية لا تُقدِّم المكان بوصفه فضاءً خارجيًا محايدًا، بل بوصفه مجالًا تتفاعل داخله الذات مع العالم، وتعيد من خلاله تعريف علاقتها بذاتها وهويتها الثقافية والإنسانية.

وتشير ريمون–كينان إلى أن السرد النسائي غالبًا ما يعمل على إعادة توزيع مراكز السلطة داخل النص، من خلال تفكيك هيمنة الصوت الواحد، وتعدد مستويات الوعي والرؤية، بما يتيح للذات الساردة التعبير عن تجربتها الخاصة بعيدًا عن الأنماط السردية التقليدية (Rimmon–Kenan, 2002, p. 58). ومن هنا، فإن الخطاب الرحلي النسائي يميل إلى تجاوز النموذج السردي القائم على الموضوعية الظاهرية والوصف الخارجي، ليفسح المجال أمام حضور الذات والانفعال والتأمل الداخلي.

كما يكشف هذا المنظور النقدي عن طبيعة العلاقة بين الجسد والمكان في الرحلة النسائية، حيث يتحول المكان من مجرد إطار جغرافي إلى فضاء دلالي تتجسد فيه مشاعر الذات الساردة وهواجسها وأسئلتها الوجودية. فالكتابة الرحلية النسائية كثيرًا ما تُعيد تشكيل المكان عبر الإحساس والتجربة الشخصية، مما يمنحه أبعادًا رمزية وثقافية تتجاوز الوصف التقليدي.

ويرى الباحث أن الإفادة من النقد النسوي السردي في دراسة الرحلة النسائية العربية لا تعني تبني خطاب أيديولوجي أو قراءة منحازة، بقدر ما تعني توظيف أدوات تحليلية تساعد على فهم طبيعة البنية السردية لهذا الخطاب، والكشف عن خصوصيته الفنية وآليات تشكّله الجمالي. فالمقاربة النسوية هنا تُستخدم بوصفها منهجًا نقديًا يسهم في تحليل تمثلات الذات والصوت والرؤية داخل النص، وليس بوصفها موقفًا فكريًا مسبقًا.

ومن هذا المنطلق، فإن دراسة الرحلة النسائية العربية في ضوء النقد النسوي السردي تسهم في تعميق فهم التحولات التي شهدها السرد الرحلي المعاصر، وتكشف عن الدور الذي أدّته الكاتبة العربية في تطوير هذا الجنس الأدبي، وإعادة تشكيل بنيته الفنية والدلالية بما ينسجم مع تحولات الخطاب الأدبي الحديث.

سابعًا: الدراسات السابقة:

تناولت دراسة (السرد الرحلي النسوي عند لطيفة الدليمي في ضوء المقاربة الأنثروبولوجية) الخطاب الرحلي النسوي في كتابات الكاتبة العراقية لطيفة الدليمي، من خلال الإفادة من المقاربة الأنثروبولوجية في تحليل العلاقة بين الذات والمكان والآخر الثقافي. وسعت الدراسة إلى الكشف عن تمثلات الهوية والوعي النسوي داخل النص الرحلي، مع التركيز على الأبعاد الثقافية والإنسانية للتجربة الرحلية النسائية. وقد خلصت الدراسة إلى أن الرحلة النسائية عند لطيفة الدليمي تتجاوز الوظيفة الوصفية التقليدية، لتصبح فضاءً للتأمل وإعادة تشكيل العلاقة بالعالم. وتفيد هذه الدراسة البحث الحالي في إبراز خصوصية الخطاب الرحلي النسائي، غير أنها ركزت على المقاربة الثقافية والأنثروبولوجية أكثر من تركيزها على تحليل البنية السردية بوصفها نظامًا فنيًا متكاملًا.

اهتمت دراسة (بنية السرد في أدب الرحلة) بتحليل البنية السردية في أدب الرحلات العربي، من خلال دراسة مكونات السرد الأساسية، كالأحداث والزمن والراوي والمكان، وبيان طبيعة العلاقات التي تربط بينها داخل النص الرحلي. وقد أشارت الدراسة إلى أن السرد الرحلي الحديث شهد تحولات بنيوية واضحة تمثلت في تفكيك الخطية الزمنية، وتنامي البعد الذاتي والتأملي داخل النص. وتلتقي هذه الدراسة مع البحث الحالي في اهتمامها بالبنية السردية للرحلة، إلا أنها تناولت أدب الرحلة بصورة عامة، ولم تخصّ الرحلة النسائية العربية بالدراسة والتحليل.

سعت دراسة (السردية العربية: بحث في البنية السردية للموروث الحكائي العربي) إلى تحليل البنية السردية في الموروث الحكائي العربي من منظور سردي بنيوي، مع التركيز على العلاقات التي تنتظم مكونات الخطاب السردي وآليات إنتاج الدلالة داخله. وقد استفادت الدراسة من مفاهيم السرديات الحديثة، ولا سيما ما يتعلق بالراوي، والزمن، وبنية الحكاية. وتفيد هذه الدراسة البحث الحالي من الناحية النظرية والمنهجية، لكونها تقدم إطارًا مفاهيميًا لتحليل البنية السردية، إلا أنها لم تتناول أدب الرحلات النسائي بصورة مباشرة.

تناولت دراسة (البنيوية وتمثلاتها السردية: موسوعة السرد العربي لعبد الله إبراهيم أنموذجًا) تطبيقات المنهج البنيوي في تحليل السرد العربي، وركّزت على مفاهيم البنية السردية والوحدات الحكائية والعلاقة بين الراوي والمروي له. وأبرزت الدراسة أهمية المناهج السردية الحديثة في الكشف عن البنية الداخلية للنصوص الأدبية، وتحليل مستويات الخطاب السردي المختلفة. وتفيد هذه الدراسة البحث الحالي في توظيف الأدوات السردية الحديثة في تحليل النص الرحلي النسائي، ولا سيما فيما يتعلق بتحليل الراوي والمنظور والزمن السردي.

ركزت دراسة (وحدة البنية السردية في الرواية: التمثيلات السردية في التجربة الروائية المعاصرة) على تحليل تماسك البنية السردية ووحدة الخطاب داخل النصوص السردية الحديثة، من خلال دراسة العلاقة بين الاستهلال، والراوي، والمكان، وتعدد البؤر السردية. وقد أبرزت الدراسة دور السرد الذاتي في تعميق الرؤية التأملية للنص، وأشارت إلى أن حضور ضمير المتكلم يسهم في تعزيز البعد النفسي والوجداني داخل الخطاب السردي. وتلتقي هذه الدراسة مع البحث الحالي في اهتمامها بالسرد الذاتي والمنظور الداخلي، وهما من السمات البارزة في الرحلة النسائية العربية المعاصرة.

يتضح من خلال استعراض الدراسات السابقة أن معظم الدراسات اهتمت بتحليل أدب الرحلات من زوايا ثقافية أو بنيوية عامة، في حين ظلّ الاهتمام بالبنية السردية في الرحلة النسائية العربية محدودًا نسبيًا. كما أن بعض الدراسات ركّزت على الجانب الموضوعي أو الأنثروبولوجي للرحلة النسائية، دون التعمق في تحليل مكوّنات الخطاب السردي وآليات تشكّله الفني.

ومن هنا تتميز الدراسة الحالية بأنها تسعى إلى تقديم مقاربة سردية تحليلية تُعنى بالكشف عن البنية السردية في الرحلة النسائية العربية المعاصرة، من خلال دراسة عناصر الراوي، والمنظور السردي، والزمن، وبناء الحدث، وعلاقة الذات بالمكان، بما يسهم في إبراز خصوصية هذا الخطاب داخل السرد العربي الحديث.

التحليل التطبيقي للدراسة

أولًا: محكيّ السفر وبناء الحدث في الرحلة النسائية العربية

يُعدّ محكيّ السفر الركيزة الأساسية التي تقوم عليها بنية السرد الرحلي، إذ تتشكل من خلاله حركة النص، وتتحدد عبره العلاقة بين الذات الساردة والمكان والآخر. غير أن الرحلة النسائية العربية المعاصرة لم تعد تعتمد البناء التقليدي القائم على تعاقب الوقائع والأحداث وفق تسلسل خطي واضح، بل اتجهت إلى بناء سردي أكثر انفتاحًا ومرونة، تتداخل فيه المشاهدات الخارجية بالتأملات الذاتية والانفعالات النفسية، بحيث يغدو الحدث الرحلي تجربة شعورية وفكرية تتجاوز مجرد الانتقال المكاني (العاني، 2006، ص67).

فالرحلة في الخطاب النسائي لا تُقدَّم باعتبارها سردًا لمسار جغرافي يبدأ من نقطة وينتهي عند أخرى، وإنما بوصفها تجربة إنسانية تتفاعل فيها الذات مع العالم، وتعيد من خلالها اكتشاف ذاتها وهويتها وعلاقتها بالآخر. ومن ثمّ، يتحول محكيّ السفر من إطار خارجي للأحداث إلى بنية دلالية تتشكل داخلها أسئلة الوجود والاغتراب والانتماء والاختلاف الثقافي.

ويرى الباحث أن هذا التحول في بناء الحدث الرحلي يعكس وعيًا سرديًا جديدًا لدى الكاتبة العربية، يتمثل في تجاوز مركزية الحدث الخارجي، واستبداله بحدث داخلي يقوم على التجربة الشعورية والتأمل الذاتي. فالرحلة هنا لا تُروى بوصفها حكاية مغامرة أو اكتشاف للمكان فحسب، بل بوصفها مسارًا نفسيًا ومعرفيًا تُختبر فيه الذات عبر علاقتها بالأمكنة والوجوه والثقافات المختلفة.

وفي ضوء التصور السردي الحديث، يؤكد جنيت أن الحدث السردي لا تُحدده ضخامته الواقعية، وإنما الوظيفة التي يؤديها داخل البنية النصية، وما ينتجه من دلالات وعلاقات داخل الخطاب (Genette, 1980, p. 94). وهذا ما يتجلى بوضوح في الرحلة النسائية العربية، حيث تكتسب التفاصيل اليومية الصغيرة قيمتها من قدرتها على الكشف عن الحالة النفسية للذات الساردة، أو عن رؤيتها للعالم، لا من طبيعتها الخارجية في ذاتها.

ويتضح ذلك في كثير من النصوص الرحلية النسائية المعاصرة، التي تحوّل المشاهد العابرة والتفاصيل الهامشية إلى لحظات كاشفة عن الإحساس بالوحدة أو الاغتراب أو الدهشة الحضارية. فالكاتبة قد تتوقف طويلًا عند مشهد بسيط في محطة قطار، أو نظرة عابرة من شخص مجهول، أو تفصيل معماري في مدينة غريبة، لتبني من خلاله تأملًا ذاتيًا أو موقفًا فكريًا يتجاوز حدود الحدث الظاهري.

ومن هنا، فإن بناء الحدث في الرحلة النسائية العربية يقوم على تحويل التجربة الرحلية من مستوى الحكاية الخارجية إلى مستوى الوعي الداخلي، بحيث يصبح السرد أداة للكشف عن تحولات الذات أكثر من كونه وسيلة لوصف العالم الخارجي.

ثانيًا: تشظّي الحدث وتحول الرحلة إلى تجربة ذاتية

تتسم بنية الحدث في الرحلة النسائية العربية المعاصرة بالتشظي وعدم الانتظام الخطي، حيث لا تُقدَّم الوقائع في تسلسل زمني صارم كما هو الحال في الرحلات التقليدية، بل تُبنى في صورة وحدات سردية متفرقة نسبيًا، تتخللها استرجاعات ووقفات تأملية وتداعيات نفسية، الأمر الذي يجعل النص أقرب إلى تدفق الوعي منه إلى الحكاية المتماسكة وفق منطق البداية والوسط والنهاية.

ويعكس هذا التشظي طبيعة الوعي السردي الحديث الذي يعيد ترتيب التجربة وفق منطق الشعور والانفعال، لا وفق منطق الزمن الواقعي أو التسلسل الخارجي للأحداث. فالسرد هنا لا يتحرك بطريقة مستقيمة، بل يتشعب عبر الذاكرة والتداعي والتأمل، مما يؤدي إلى تفكيك وحدة الحدث التقليدي، واستبدالها ببنية أكثر انفتاحًا وتعددًا (Todorov, 1977, p. 89).

ويرى الباحث أن هذا التشظي لا يمثل ضعفًا في البناء الفني، كما قد يبدو في القراءة التقليدية، وإنما يُعدّ استراتيجية سردية واعية تعبّر عن طبيعة التجربة الإنسانية ذاتها، بما تنطوي عليه من انقطاع وتداخل وتشابك بين الماضي والحاضر. فالكاتبة لا تسعى إلى بناء حكاية مكتملة ذات حبكة متماسكة، بقدر ما تسعى إلى نقل الإحساس بالتجربة كما عاشتها نفسيًا ووجدانيًا.

ومن هنا، تتحول الرحلة إلى مساحة للتعبير عن الذات، أكثر من كونها سردًا للأحداث الخارجية. فالذات الساردة لا تكتفي بوصف الأمكنة التي تزورها، بل تُعيد بناء العالم عبر إحساسها الخاص به، وتُحمّل التفاصيل الخارجية معاني مرتبطة بالذاكرة والانفعال الشخصي.

وتؤكد طه (2013) أن الرحلة النسائية «تكتب الذات وهي تعبر المكان، لا المكان في ذاته» (ص. 71)، وهو ما ينسجم مع طبيعة هذا البناء المتشظي، الذي يجعل الذات مركز السرد ومحوره الأساسي. فالأحداث لا تُقدَّم باعتبارها وقائع مستقلة، وإنما باعتبارها انعكاسات لحركة الوعي الداخلي للكاتبة.

كما يسهم هذا التشظي في منح النص الرحلي النسائي طابعًا شعريًا وتأمليًا، حيث تتداخل فيه اللغة الوصفية باللغة الوجدانية، ويتحول السرد إلى مساحة لاستبطان الذات وتأمل العالم في آن واحد. ولذلك يغدو البناء السردي في الرحلة النسائية أكثر قربًا من النص المفتوح الذي تتعدد داخله مستويات المعنى والرؤية.

ثالثًا: الراوي الذاتي ومركزية الصوت النسائي

يحتل الراوي الذاتي بضمير المتكلم موقعًا محوريًا في الرحلة النسائية العربية، حيث تتولى الذات الساردة مهمة نقل الأحداث وتوجيه الرؤية السردية، مما يمنح النص طابعًا اعترافيًا وتأمليًا واضحًا. فالكاتبة لا تقف خارج التجربة بوصفها مراقبًا محايدًا، بل تنخرط فيها بوصفها ذاتًا فاعلة تعيش الحدث وتعيد تشكيله عبر اللغة والسرد.

ويؤدي هذا النمط السردي إلى تعزيز حضور الأنا داخل النص، بحيث تصبح الذات محورًا أساسيًا في بناء المعنى، ويتحول السرد إلى وسيلة للكشف عن الهواجس والانفعالات والأسئلة الوجودية المرتبطة بالهوية والحرية والانتماء. ويشير بوث إلى أن الراوي الذاتي يمنح النص بعدًا حميميًا، لأنه يسمح للقارئ بالاقتراب من العالم الداخلي للشخصية الساردة، والتفاعل مع تجربتها الشعورية بصورة مباشرة (Booth, 1983, p. 156).

ويرى الباحث أن اختيار الراوي الذاتي في الرحلة النسائية لا يُعدّ مجرد خيار تقني يتعلق بطريقة الحكي، بل يمثل موقفًا فكريًا وجماليًا تسعى من خلاله الكاتبة إلى تثبيت حضورها داخل الخطاب الأدبي، ومواجهة أنماط السرد التقليدي التي همّشت الذات النسائية أو اختزلتها في أدوار ثانوية.

فالذات الساردة في الرحلة النسائية لا تكتفي بنقل التجربة، بل تعيد تعريف علاقتها بالعالم من خلال فعل الكتابة ذاته، حيث تصبح اللغة أداة لإثبات الوجود والتعبير عن الرؤية الخاصة. ومن هنا، فإن حضور ضمير المتكلم لا يعبّر فقط عن خصوصية التجربة، وإنما يكشف أيضًا عن رغبة الكاتبة في امتلاك صوتها السردي المستقل.

كما أن هذا الحضور القوي للذات يسهم في إضفاء طابع إنساني وعاطفي على النص، إذ يشعر القارئ بأنه أمام تجربة معيشة تُروى من الداخل، لا مجرد تقرير وصفي عن الأمكنة والأحداث. ولذلك يكون تأثير الرحلة النسائية في المتلقي أكثر عمقًا من الرحلة التقليدية التي يغلب عليها الطابع الإخباري.

ويؤكد جنيت أن نوع الراوي يؤثر بصورة مباشرة في طبيعة التلقي وبناء المعنى داخل النص، لأن الراوي هو الذي يتحكم في زاوية الرؤية وطريقة تقديم العالم السردي (Genette, 1980, p. 189). وفي الرحلة النسائية، يؤدي الراوي الذاتي دورًا أساسيًا في توجيه القارئ نحو البعد النفسي والوجداني للتجربة، مما يمنح النص كثافة شعورية ودلالية واضحة.

رابعًا: المنظور السردي وتعدد زوايا الرؤية

يتسم المنظور السردي في الرحلة النسائية العربية بالمرونة والتعدد، حيث لا يقتصر السرد على زاوية رؤية واحدة ثابتة، بل يتنقل بين مستويات مختلفة من الرؤية الداخلية والخارجية، الأمر الذي يمنح النص ثراءً دلاليًا وتنوعًا في طرائق تمثيل العالم.

فالكاتبة قد تبدأ بوصف خارجي للمكان، ثم تنتقل إلى تأمل ذاتي مرتبط بهذا المكان، أو تستدعي ذكرى بعيدة تتقاطع مع اللحظة الراهنة، وهو ما يؤدي إلى تداخل مستويات الرؤية داخل الخطاب السردي. ويُسهم هذا التنقل المنظوري في خلق خطاب متعدد الأبعاد، يجمع بين الوصف والتأمل والتحليل والانفعال.

ويشير جنيت إلى أن المنظور السردي يحدد طبيعة المعرفة التي يقدمها الراوي، ومدى قربه أو ابتعاده عن الأحداث والشخصيات (Genette, 1980, p. 191). وفي الرحلة النسائية، يتداخل المنظور الداخلي الذي يعبّر عن وعي الذات مع المنظور الخارجي الذي يرصد العالم المحيط، مما يمنح النص طابعًا حواريًا منفتحًا.

ويرى الباحث أن هذا التعدد في زوايا الرؤية يعكس رغبة الكاتبة في بناء علاقة أكثر تفاعلًا مع العالم، بحيث لا يقتصر السرد على تسجيل الوقائع، بل يتحول إلى محاولة لفهمها وتأويلها. ومن ثمّ، فإن الرحلة النسائية لا تقدم العالم بوصفه حقيقة جاهزة، وإنما بوصفه تجربة تخضع للرؤية الذاتية والتأمل المستمر.

خامسًا: الزمن السردي وكسر الخطية الزمنية

يُعدّ الزمن من أكثر العناصر السردية حضورًا في الرحلة النسائية العربية المعاصرة، إذ لم يعد يُقدَّم وفق تسلسل خطي بسيط يقوم على تعاقب الأحداث من البداية إلى النهاية، بل أصبح عنصرًا مرنًا يخضع لحركة الذاكرة والانفعال والتداعي النفسي.

ويُميّز جنيت بين زمن الحكاية وزمن الخطاب، موضحًا أن العلاقة بينهما تُنتج أشكالًا متعددة من التلاعب الزمني، كالتقديم والتأخير والاسترجاع والاستباق (Genette, 1980, p. 33). ويظهر هذا التداخل الزمني بوضوح في الرحلة النسائية، حيث تتحرر الكاتبة من سلطة الزمن الواقعي، لتبني زمنًا داخليًا تتحكم فيه الذاكرة والتجربة الشعورية.

وعلى العموم، فإن كسر الخطية الزمنية في الرحلة النسائية يعكس انتقال الخطاب الرحلي من التركيز على تسلسل الوقائع إلى الاهتمام بالحالة النفسية للذات الساردة. فالزمن هنا لا يُقاس بحركة الساعات والأيام، وإنما بحركة الشعور والتحولات الداخلية التي تعيشها الكاتبة أثناء الرحلة.

سادسًا: الزمن النفسي وهيمنة الوعي الذاتي

يتقدّم الزمن النفسي في الرحلة النسائية العربية على الزمن الواقعي، بحيث تصبح اللحظة الشعورية محورًا أساسيًا في بناء السرد. فقد تتسع لحظة قصيرة لتشغل صفحات طويلة من التأمل والوصف، بينما يُختزل زمن ممتد في إشارة عابرة، تبعًا لما تتركه التجربة من أثر في وعي الذات الساردة.

ويعكس هذا التحول هيمنة الوعي الذاتي على عملية السرد، حيث تتحول الرحلة إلى تجربة داخلية تتشكل وفق الإحساس الشخصي بالزمن، لا وفق تعاقب الوقائع الخارجية (Todorov, 1977, p. 97). ومن هنا، يصبح الزمن النفسي أداة للكشف عن أعماق الذات، وعن طبيعة علاقتها بالمكان والذاكرة والآخر.

كما يسهم هذا النوع من الزمن في منح النص الرحلي النسائي طابعًا تأمليًا وشعريًا، إذ تتداخل فيه اللحظة الحاضرة مع الذكريات والاسترجاعات والانفعالات، مما يخلق بنية زمنية مفتوحة تتعدد فيها مستويات الشعور والرؤية.

ويرى الباحث أن هيمنة الزمن النفسي تمثل أحد أبرز مظاهر خصوصية الرحلة النسائية العربية، لأنها تكشف عن انتقال السرد الرحلي من وظيفة التوثيق الخارجي إلى التعبير عن التجربة الذاتية العميقة، وهو ما يمنح النص الرحلي أبعاده الجمالية والفكرية الحديثة.

سابعًا: تحليل تطبيقي لنماذج سردية من الرحلة النسائية العربية

1. هالة البدري: المكان والاغتراب في في بلد الأمريكان

تقدّم هالة البدري في كتابها في بلد الأمريكان نموذجًا دالًا لتحوّل الرحلة من خطاب يقوم على توصيف المكان الخارجي إلى خطاب يكشف عن التوتر النفسي والاغتراب الداخلي للذات الساردة. فالرحلة عند البدري لا تُبنى على مبدأ الاكتشاف الجغرافي بقدر ما تقوم على اختبار العلاقة المعقدة بين الذات والمكان المختلف ثقافيًا وحضاريًا.

تقول البدري:

«كنتُ أمشي في الشارع الواسع، لكنني كنتُ أشعر أنني أضيق، كأن المدينة تتسع لتقصيني لا لتحتويني» (البدري، 2019، ص29).

يكشف هذا المقطع عن مفارقة دلالية واضحة تقوم على التضاد بين الاتساع المكاني والضيق النفسي، حيث يتحول المكان من فضاء مفتوح إلى عنصر يولّد الإحساس بالعزلة والاستبعاد. فالكاتبة لا تنشغل بوصف تفاصيل المدينة أو معالمها العمرانية، وإنما تركّز على الأثر النفسي الذي يتركه الفضاء في الذات الساردة.

ويرى الباحث أن هذا التحول في وظيفة المكان يمثل سمة أساسية من سمات الرحلة النسائية العربية المعاصرة، إذ لم يعد المكان إطارًا خارجيًا للأحداث، بل أصبح عنصرًا فاعلًا في تشكيل الوعي والانفعال. ومن هنا يتحول الفضاء الجغرافي إلى فضاء نفسي يعكس حالة الذات الداخلية.

كما يتجلى في هذا النص حضور المنظور الداخلي، حيث يُعاد تشكيل المكان عبر الإحساس الذاتي لا عبر الرؤية الموضوعية. ويؤكد جنيت أن الفضاء السردي يكتسب قيمته من موقعه في وعي الراوي، لا من خصائصه الفيزيائية وحدها (Genette, 1980, p. 113)، وهو ما يبدو واضحًا في خطاب البدري، حيث تُبنى المدينة بوصفها تجربة شعورية قبل أن تكون مكانًا ماديًا.

ويلاحظ كذلك اعتماد الكاتبة على الجملة القصيرة المكثفة ذات الإيقاع النفسي السريع، الأمر الذي يعكس التوتر الداخلي للذات الساردة. كما أن اللغة هنا تتجاوز الوظيفة الوصفية لتصبح أداة للكشف عن الإحساس بالاغتراب والاختلاف الثقافي.

ومن ثمّ، فإن الرحلة عند هالة البدري تتحول إلى تجربة وجودية تُختبر فيها الذات من خلال علاقتها بالمكان الآخر، ويصبح السرد وسيلة للكشف عن هشاشة الانتماء وحدود التكيف مع الفضاء الثقافي المختلف.

2. فاطمة المرنيسي: الرحلة بوصفها استدعاءً للذاكرة والهوية

تمثل كتابات فاطمة المرنيسي الرحلية نموذجًا مختلفًا داخل الرحلة النسائية العربية، حيث تتداخل الرحلة المكانية بالرحلة الفكرية والذاكرية، وتتحول الكتابة إلى فعل استعادة للذات عبر الزمن. فالرحلة عند المرنيسي لا تقوم على تتبع الأحداث أو وصف الأمكنة، وإنما تنبني على التأمل في أسئلة الهوية والانتماء والذاكرة الثقافية.

تقول المرنيسي:

«كلّما ابتعدتُ عن المكان، اقتربتُ أكثر من أسئلتي الأولى» (المرنيسي، 2003، ص54).

يكشف هذا المقطع عن طبيعة العلاقة بين المكان والذات في الخطاب الرحلي النسائي، حيث لا يؤدي الابتعاد المكاني إلى القطيعة، بل يصبح وسيلة لتعميق الوعي بالذات واستدعاء الأسئلة المؤجلة المرتبطة بالهوية والانتماء. فالرحلة هنا لا تُفضي إلى الانفصال عن الجذور، بل إلى إعادة اكتشافها.

ويرى الباحث أن الرحلة عند المرنيسي تقوم على مركزية الفكرة أكثر من مركزية الحدث، ولذلك يقترب خطابها من التأمل الفلسفي والسيرة الفكرية، حيث تتراجع الوقائع الخارجية لصالح

التأملات الذاتية والأسئلة الثقافية. وهذا ما يجعل النص الرحلي عندها أقرب إلى خطاب فكري مفتوح، تتداخل فيه السيرة الذاتية بالتحليل الحضاري.

ويشير تودوروف إلى أن السرد الحديث يميل إلى تقليص مركزية الحدث لصالح الفكرة والوعي السردي (Todorov, 1977, p. 91)، وهو ما يتجلى بوضوح في كتابة المرنيسي، حيث تصبح الرحلة إطارًا للتفكير أكثر من كونها حكاية للأحداث.

كما تعتمد المرنيسي بصورة واضحة على تقنية الاسترجاع، إذ تتداخل الأزمنة داخل النص، ويُكسر التسلسل الزمني التقليدي لصالح بنية ذاكرية تتنقل فيها الذات بين الحاضر والماضي بحرية. ويسهم هذا التداخل الزمني في تعزيز الطابع التأملي للنص، وفي الكشف عن العلاقة العميقة بين الذاكرة والمكان.

ومن خلال هذا البناء السردي، تتحول الرحلة إلى وسيلة لإعادة بناء الذات ثقافيًا وفكريًا، بحيث تصبح الكتابة فعلًا من أفعال البحث عن الهوية وإعادة تأويل العالم.

3. رضوى عاشور: الرحلة الفكرية وتعدد الأصوات

تقدّم رضوى عاشور في مقاطعها الرحلية ويومياتها نموذجًا متميزًا للرحلة التي تتجاوز حدود الانتقال المكاني لتغدو رحلة فكرية وثقافية، تتداخل فيها الرؤية الحسية بالتأمل التاريخي والسياسي والإنساني.

تقول عاشور:

«كنتُ أرى المدينة بعينيّ، لكنني كنتُ أفكّر فيها بوعي آخر، وعيٍ مثقلٍ بالتاريخ والأسئلة» (عاشور، 2011، ص77).

يكشف هذا المقطع عن تداخل مستويين من الرؤية داخل الخطاب السردي؛ أولهما الرؤية الحسية المرتبطة بالمشاهدة المباشرة، وثانيهما الرؤية الفكرية التي تُخضع المكان للتأويل والتحليل التاريخي والثقافي. ومن ثمّ، فإن المدينة لا تُقدَّم باعتبارها مشهدًا بصريًا فحسب، بل بوصفها نصًا ثقافيًا مفتوحًا على القراءة والتأويل.

ويرى الباحث أن هذا التداخل بين الحسي والفكري يعكس نضجًا واضحًا في الخطاب الرحلي النسائي، حيث تتعدد مستويات الوعي داخل الذات الساردة، ويتحول السرد إلى مساحة حوار بين التجربة الفردية والوعي الجمعي والتاريخي.

كما أن الرحلة عند رضوى عاشور لا تنفصل عن الهمّ الثقافي والإنساني، إذ تحضر الأسئلة السياسية والتاريخية داخل النص بوصفها جزءًا من وعي الذات بالمكان. ولذلك يتجاوز الخطاب الرحلي عندها حدود الذاتية الضيقة، لينفتح على قضايا أوسع تتعلق بالهوية والذاكرة الجمعية.

ويؤكد بوث أن تعدد مستويات الوعي داخل الصوت السردي يسهم في كسر أحادية الرؤية، ويمنح النص عمقًا دلاليًا أكبر (Booth, 1983, p. 174). ويظهر هذا التعدد بوضوح في نصوص عاشور، حيث تتجاور الرؤية الذاتية مع الرؤية الفكرية والتاريخية، في بنية سردية غنية ومتعددة الطبقات.

ومن هنا، تتحول الرحلة عند رضوى عاشور إلى فعل قراءة للعالم بقدر ما هي تجربة عبور للمكان، ويغدو السرد أداة للتأمل في التاريخ والثقافة والذات الإنسانية.

ثامنًا: اللغة السردية والبعد التأملي في الرحلة النسائية العربية

تتسم اللغة السردية في الرحلة النسائية العربية المعاصرة بخصوصية فنية واضحة، تتمثل في ميلها إلى التكثيف والإيحاء والانفعال الوجداني، بعيدًا عن اللغة التقريرية التي طبعت كثيرًا من نصوص الرحلة التقليدية. فاللغة هنا لا تُستخدم بوصفها أداة لنقل المعلومات فحسب، وإنما بوصفها وسيلة للكشف عن التجربة الداخلية للذات الساردة.

ويلاحظ الباحث أن كثيرًا من النصوص الرحلية النسائية تعتمد الجملة القصيرة ذات الإيقاع النفسي السريع، إلى جانب توظيف المجاز والصور الشعرية والتكرار الدلالي، الأمر الذي يمنح الخطاب الرحلي طابعًا تأمليًا واضحًا. فاللغة لا تصف المكان من الخارج فقط، بل تعيد تشكيله عبر الإحساس والانفعال والذاكرة.

كما تتكرر في هذه النصوص الألفاظ ذات الحمولة الشعورية المرتبطة بالوحدة، والحنين، والاغتراب، والدهشة، والبحث عن الذات، وهو ما يعكس هيمنة البعد النفسي على عملية السرد. ومن ثمّ، تتحول الرحلة إلى تجربة شعورية مكتوبة، تتداخل فيها اللغة بالسيرة الذاتية والتأمل الفكري.

ويرى الباحث أن اللغة في الرحلة النسائية تؤدي وظيفة الكشف أكثر من وظيفة الإخبار، حيث تُستخدم المفردات والتراكيب للكشف عن الداخل النفسي للذات، وإضاءة علاقتها بالعالم والمكان والآخر. ولذلك فإن النص الرحلي النسائي يميل إلى بناء لغة ذات طابع وجداني وتأملي، تتجاوز الوصف الخارجي المباشر.

كما يسهم هذا التحول اللغوي في تجديد الخطاب الرحلي العربي، من خلال الانتقال من اللغة التوثيقية إلى اللغة الفنية ذات الكثافة الدلالية، وهو ما يمنح الرحلة النسائية أبعادًا جمالية وفكرية أكثر عمقًا.

ويخلص الباحث إلى أن التركيز على الزمن النفسي واللغة التأملية في الرحلة النسائية العربية يحوّل الرحلة إلى تجربة داخلية تتجاوز حدود الجغرافيا والمشاهدة المباشرة، وتؤكد أن المكان في هذا النوع من الكتابة ليس غاية في ذاته، بل وسيلة لاختبار الذات وإعادة اكتشافها (البدري، 2019، ص57).

الخاتمة:

خلص هذا البحث إلى أن البنية السردية في الرحلة النسائية العربية تمثل تحولًا جوهريًا في مسار السرد الرحلي، إذ أعادت الاعتبار للذات، ووسّعت من أفق التجربة السردية عبر كسر الخطية الزمنية، وتعميق البعد النفسي، وتعدد زوايا الرؤية. ويرى الباحث أن الرحلة النسائية العربية لم تعد مجرد انتقال في المكان، بل أصبحت فعل كتابة للوعي، وتجربة وجودية تُعيد تشكيل العلاقة بين الذات والعالم، وتُسهم في تجديد السرد العربي المعاصر. وبذلك يسهم هذا البحث في سد فجوة نقدية واضحة في الدراسات الأدبية العربية، ويفتح آفاقًا جديدة للبحث في أدب الرحلات من منظور سردي حديث.

النتائج

أسفرت الدراسة من خلال مقاربة سردية تحليلية للبنية السردية في الرحلة النسائية العربية المعاصرة، وتحليل نماذج مختارة من النصوص الرحلية النسائية، عن مجموعة من النتائج التي تؤكد خصوصية هذا الخطاب السردي وتميّزه داخل السرد العربي الحديث، ويمكن إجمالها فيما يأتي:

- أثبتت الدراسة أن الرحلة النسائية العربية لم تعد قائمة على توصيف المكان أو تسجيل الوقائع الخارجية كما في الرحلة التقليدية، بل تحوّلت إلى خطاب ذاتي يتمحور حول التجربة الداخلية للذات الساردة. فالحدث النفسي أصبح يتقدّم على الحدث الخارجي، وغدا المكان وسيطًا دلاليًا لاختبار الوعي والهوية والانتماء.
- بيّن التحليل أن بنية الحدث في الرحلة النسائية تتسم بالتشظي والتقطيع، مع غياب التسلسل الزمني الصارم، واعتماد وحدات سردية مستقلة نسبيًا تتخللها الاسترجاعات والتداعيات النفسية، الأمر الذي يعكس هيمنة الذاكرة والانفعال على عملية بناء السرد.
- أظهرت الدراسة أن الراوي الذاتي بضمير المتكلم يُعدّ السمة الغالبة في الخطاب الرحلي النسائي، بما يمنح النص طابعًا اعترافيًا وتأمليًا، ويؤكد حضور الأنا الساردة بوصفها ذاتًا واعية تعيد تشكيل التجربة عبر الكتابة، لا مجرد ناقل محايد للأحداث.

- كشفت الدراسة أن الرحلة النسائية العربية تعتمد منظورًا سرديًا مرنًا يتنقل بين الرؤية الداخلية التأملية والرؤية الخارجية الوصفية، مما يؤدي إلى إنتاج خطاب سردي متعدد المستويات، تتداخل فيه الرؤية الشعورية بالتحليل الثقافي والفكري.
- أثبتت الدراسة أن الزمن النفسي يحتل موقعًا مركزيًا في بناء السرد الرحلي النسائي، حيث تُقاس التجربة بعمق الإحساس والانفعال لا بطول المدة الزمنية، ويُعاد تشكيل الزمن وفق منطق الذاكرة والتداعي الحر، وهو ما يمنح النص طابعًا تأمليًا واضحًا.
- خلصت الدراسة إلى أن المكان في الرحلة النسائية العربية لم يعد مجرد خلفية محايدة للأحداث، بل أصبح عنصرًا بنيويًا يسهم في إنتاج الدلالة السردية، ويعمل مرآةً لتحولات الذات النفسية والثقافية، بما يعكس طبيعة العلاقة المعقدة بين الأنا والعالم.
- أظهرت الدراسة أن اللغة السردية في الرحلة النسائية تميل إلى التكثيف والإيحاء والحمولة الشعورية، مع حضور واضح للبعد التأملي، الأمر الذي يجعل النص الرحلي أقرب إلى تجربة وجدانية وفكرية تتجاوز الوظيفة الإخبارية التقليدية.
- أكد البحث أن الرحلة النسائية العربية أسهمت في تطوير الخطاب الرحلي العربي من خلال إدخال تقنيات سردية حديثة، وتعميق البعد النفسي والفكري للنص، وإعادة بناء العلاقة بين الذات والمكان والزمن، مما منح هذا الجنس الأدبي أبعادًا جمالية ودلالية جديدة داخل السرد العربي الحديث.

مناقشة النتائج

تكشف النتائج التي توصّل إليها هذا البحث عن تحوّل نوعي واضح في بنية السرد الرحلي العربي المعاصر، تمثّل في بروز الرحلة النسائية العربية بوصفها خطابًا سرديًا حديثًا أعاد تعريف مفهوم الرحلة ووظيفتها الفنية والدلالية. فالرحلة لم تعد قائمة على الوصف الخارجي للمكان أو تسجيل الوقائع والمشاهدات كما في النماذج التقليدية، وإنما أصبحت فضاءً للتعبير عن الذات، ومجالًا لإعادة بناء العلاقة بين الأنا والعالم، وبين الذاكرة والمكان، وبين التجربة الفردية والوعي الثقافي.

ويرى الباحث أن هذا التحول يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتحولات الفكرية والثقافية التي شهدها الأدب العربي الحديث، وما رافقها من تطور في الوعي السردي لدى الكاتبة العربية، وانفتاح الخطاب الأدبي على المناهج النقدية الحديثة، ولا سيما السرديات والبنيوية والنقد النسوي. وقد أسهم هذا التطور في انتقال الرحلة النسائية من مستوى الحكاية التوثيقية إلى مستوى الخطاب السردي المركب، الذي تتداخل فيه الذاتية بالتأمل الفكري، والبعد النفسي بالرؤية الثقافية.

وقد بيّنت الدراسة أن مركزية الذات الساردة تُعدّ من أبرز السمات التي تميز الرحلة النسائية العربية، حيث يهيمن الراوي الذاتي بضمير المتكلم، ويتحول السرد إلى مساحة للكشف عن الهواجس والانفعالات والأسئلة الوجودية المرتبطة بالهوية والانتماء والاغتراب. وهذا ما يجعل الرحلة النسائية أقرب إلى كتابة الذات منها إلى السرد الوصفي التقليدي، إذ تصبح التجربة الرحلية وسيلة لاكتشاف الداخل النفسي بقدر ما هي وسيلة لاكتشاف العالم الخارجي.

كما كشفت النتائج عن هيمنة الزمن النفسي وكسر الخطية الزمنية داخل النصوص الرحلية النسائية، حيث تُبنى الأحداث وفق منطق الذاكرة والتداعي والانفعال، لا وفق التعاقب الزمني الصارم. وقد أدى ذلك إلى تشظّي البنية الحدثية، واعتماد وحدات سردية متفرقة تتداخل فيها الأزمنة والرؤى، وهو ما يمنح النص الرحلي طابعًا تأمليًا وشعريًا واضحًا.

وتتفق هذه النتائج مع ما ذهب إليه جيرار جنيت (1980) في تأكيده أن السرد الحديث يقوم على تفكيك البنى الخطية التقليدية، وإعادة توزيع الوظائف السردية المتعلقة بالراوي والزمن والمنظور، بحيث يتحول الاهتمام من الحدث الخارجي إلى الوعي السردي وآليات بناء الخطاب. كما تنسجم مع تصورات تودوروف (1977) التي ترى أن البنية السردية ليست مجرد ترتيب للأحداث، وإنما نظام دلالي متكامل تتحدد قيمته من خلال العلاقات الداخلية بين عناصر النص.

وفي الوقت نفسه، تكشف نتائج الدراسة عن خصوصية الرحلة النسائية العربية مقارنة بالرحلة التقليدية، من خلال إعادة بناء العلاقة بين المكان والذات. فالمكان لم يعد مجرد فضاء جغرافي محايد، بل أصبح عنصرًا بنيويًا فاعلًا يعكس التحولات النفسية والثقافية للذات الساردة، ويتحوّل إلى مرآة للهواجس والأسئلة الداخلية.

كما أظهرت الدراسة أن اللغة السردية في الرحلة النسائية تميل إلى التكثيف والإيحاء والبعد التأملي، مع حضور واضح للمجاز والتعبير الوجداني، الأمر الذي يؤكد انتقال الخطاب الرحلي من اللغة الإخبارية إلى اللغة الفنية ذات الكثافة الدلالية. وقد أسهم هذا التحول اللغوي في منح النص الرحلي النسائي أبعادًا جمالية وفكرية جديدة داخل السرد العربي المعاصر.

ويرى الباحث أن هذه النتائج تؤكد أن الرحلة النسائية العربية لم تكتفِ بتطوير موضوعات الرحلة التقليدية، بل أسهمت في تجديد بنيتها السردية ذاتها، من خلال:

- توسيع أفق الذات الساردة وتعميق حضورها داخل النص.
- إعادة بناء العلاقة بين المكان والوعي والذاكرة.
- توظيف تقنيات سردية حديثة، كالتشظي الزمني، والاسترجاع، وتعدد مستويات الرؤية.
- تحويل الرحلة من خطاب وصفي إلى خطاب تأملي وفكري وإنساني.

كما يتميز هذا البحث عن كثير من الدراسات السابقة، العربية والأجنبية، في أنه لا يقتصر على وصف الخصائص العامة للرحلة النسائية العربية، بل ينفذ إلى بنيتها السردية الداخلية، ويكشف عن آليات اشتغالها الفنية من خلال تحليل تطبيقي لنماذج محددة، الأمر الذي يمنحه بعدًا نقديًا وتطبيقيًا أكثر عمقًا.

ومن ثمّ، فإن الرحلة النسائية العربية تمثل أحد أهم مظاهر التحول في السرد العربي الحديث، بوصفها خطابًا يجمع بين التجربة الذاتية والرؤية الفكرية والبناء الفني المتجدد، ويؤكد قدرة الكاتبة العربية على إعادة إنتاج الأجناس الأدبية التقليدية ضمن رؤى سردية معاصرة.

ثالثًا: التوصيات

في ضوء ما توصّل إليه البحث من نتائج، يوصي الباحث بما يأتي:

1. ضرورة توسيع الاهتمام النقدي بأدب الرحلات النسائي العربي، بوصفه جنسًا سرديًا يمتلك خصوصيته الفنية والبنيوية، ويستحق مزيدًا من الدراسات الأكاديمية المتخصصة.
2. تشجيع الدراسات المقارنة التي تتناول الرحلة النسائية العربية في علاقتها بالرحلة النسائية في الآداب العالمية، للكشف عن أوجه التشابه والاختلاف في بناء الخطاب السردي وتمثيل الذات والمكان.
3. الإفادة من مناهج السرديات الحديثة، والنقد الثقافي، والنقد النسوي السردي، في تحليل النصوص الرحلية النسائية، بما يسهم في تعميق القراءة النقدية لهذا الجنس الأدبي.
4. إدراج نصوص الرحلة النسائية العربية ضمن المقررات الجامعية المعنية بالسرد العربي الحديث، لما تتضمنه من أبعاد فنية وثقافية وإنسانية تسهم في إثراء الدرس الأدبي.
5. تشجيع الباحثين على دراسة العلاقة بين المكان والذات والذاكرة في النصوص الرحلية المعاصرة، بوصفها من القضايا المركزية في بناء الخطاب الرحلي الحديث.
6. العناية بتحقيق ونشر النصوص الرحلية النسائية العربية التي ما تزال متفرقة أو غير متداولة، بما يسهم في توسيع مادة البحث العلمي في هذا المجال.
7. توجيه الدراسات المستقبلية نحو تحليل اللغة السردية والأساليب التعبيرية في الرحلة النسائية العربية، للكشف عن خصوصيتها الجمالية وأثرها في تطوير الخطاب الرحلي المعاصر.
8. الإفادة من المقاربات البينية التي تربط أدب الرحلات بالدراسات الثقافية والاجتماعية والنفسية، من أجل فهم أعمق للتحولات التي شهدها الخطاب الرحلي النسائي العربي الحديث.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المراجع العربية

- البدري، هالة. (2019). في بلد الأمريكان. القاهرة: دار الشروق.
- البادي، مريم. (2020). الكتابة والسفر: تأملات في الرحلة المعاصرة. مسقط: دار الانتشار العربي.
- المرنيسي، فاطمة. (2003). رحلاتي مع جدتي. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- طه، عبد الله. (2013). السرد الرحلي في الأدب العربي الحديث. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- العاني، عبد الله. (2006). أدب الرحلات: دراسة في السرد والتحول. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- عاشور، رضوى. (2011). أثقل من رضوى: مقاطع من السيرة والرحلة. القاهرة: دار الشروق.

ثانيًا: المراجع الأجنبية

- Bal, M. (2009). Narratology: Introduction to the Theory of Narrative (3rd ed.). Toronto: University of Toronto Press.
- Booth, W. C. (1983). The Rhetoric of Fiction (2nd ed.). Chicago, IL: University of Chicago Press.
- Genette, G. (1980). Narrative Discourse: An Essay in Method (J. E. Lewin, Trans.). Ithaca, NY: Cornell University Press.
- Rimmon-Kenan, S. (2002). Narrative Fiction: Contemporary Poetics (2nd ed.). London: Routledge.
- Todorov, T. (1977). The Poetics of Prose (R. Howard, Trans.). Oxford: Basil Blackwell.